المثالية الروحانية

في ديكارتية عثمان أمين

د . أحمد عبد الحليم عطية

1) تمهيدات اولية:

تدور هذه الدراسة حول فلسفة ديكارت De-scartes (1596 - 1650) كما ظهرت في الفكر العربي المعاصر، وتحاول توضيح صورته كما ارتسمت في الكتابات العربية. فالسؤال الاساس هنا يدور حول تصورنا وفهمنا لديكارت وللتصورات المختلفة له، باعتباره نموذجاً للفلسفة الغربية التي أثرت في العقلية العربية تأثيراً كبيراً. والحقيقة ان ديكارت يعد نموذجاً هاماً للعلاقة الحضارية والتعامل الفكري العربي مع الفلسفة الحديثة خاصة والفكر الغربي عامة. ودراسة تأثيرات ديكارت توضح موقفنا من الفكر الغربي، وكيفية تعاملنا مع عناصره المختلفة، وتحدد مسار التأثر به في فترة بعينها وبالتالي تحدد محتوى التفكير الغربي نفسه في هذه الفترة التاريخية. ولاختيارنا ديكارت بالذات مبرراته الحضارية والتاريخية بالاضافة للأسباب الفكرية المتعلقة بخصوصية تاريخ الفلسفة نفسه.

وتتحدد اولى هذه الاسباب من موقف «التلقي» المفروض على الفكر العربي أو ما يمكن ان نطلق عليه «الخضوع للتفوق الابستمولوجي الغربي» والذي يتمثل في تقبلنا الصورة التي يحددها الغرب لذاته، بدون تعديل سواء فيما يتعلق بتاريخ الافكار او الاعلام او المشكلات الثقافية التي يدعي اصحابها انها مقولات انسانية عامة تنطبق على كل المجتمعات في كل زمن ومكان. وربما يرجع ذلك الزعم الى تمركز الفكر الاوروبي على ذاته، وقد انسقنا نحن وراء هذا التمركز. التلقي والبدء بالغرب هما المسألة الاولى التي تتحكم في العقلية العربية منذ بداية تفتحنا على الغرب الذي صُوِّر حضارياً على انه النموذج المكتمل والارقى، عليه التقدم ومنه العطاء، وعلينا الاخذ دون تحريف، هكذا تعاملنا معه، وهكذا لا زلنا نتعامل، او بمعنى ادق هكذا فرض علينا التعامل. فالغرب متقدم حضارياً وسياسياً، وله ابداعاته الفكرية والادبية والفنية، وعلينا نحن ان نتذوق فنونه وآدابه ونتعمق في افكاره وفلسفاته، فكما تبدأ الفلسفة الغربية الحديثة بديكارت يكون علينا ان نفعل الشيء نفسه، وكما قال هيجل «ان ديكارت ابو الفلسفة

الحديثة» يقول عثمان امين نفس القول ويكرره آخرون. نذكر: بيكون وديكارت وسبينوزا ومالبرانش وهيوم وكانط واذا كنا اكثر معاصرة نذكر: التوسير وفوكو ولاكان وتشومسكي وباختين وتودوروف، ولا نذكر الافغاني وعبده واقبال وشميل وجميل صدقي الزهاوي واسماعيل مظهر ونقولا حداد وعصام الدين حفني ناصف، ولطفي السيد، كذلك لا نذكر مصطفى عبد الرازق ومنصور فهمي وعثمان امين ويوسف كرم ونجيب بلدي والخضيري وكمال يوسف الحاج.

وتتخذ هذه الدراسة اتجاهاً محدداً فهي تهتم في الاساس بدراسة الفكر العربي وترى انه يمكن القيام بذلك اما مباشرة بدراسة تاريخ الافكار في علاقتها بالتاريخ الاجتماعي والسياسي او بطريق غير مباشر بدراسة كيفية تلقينا وتناولنا للافكار الغربية ـ مثل انعكاس افكار عصر العقل (القرن 17) كما ظهرت لدى ديكارت على المفكرين العرب. ويمكن الجمع بين الطريقين، وعلى ذلك تبدأ هذه الدراسة ليس بديكارت الفرنسي بل بما يمكن ان يسمى بالديكارتية في الفكر العربي، تدرس اعمال: عثمان امين ونجيب بلدي وكمال يوسف الحاج وجميل صليبا وجهودهم في العرض والتعريف بديكارت، كما تشير الى استخدام طه حسين للمنهج الديكارتي في دراسته للادب العربي، ومحاولة محمود الخضيري بعث اللغة الفلسفية العربية ونحت المصطلحات التي ينبغي استخدامها في دراسة الفلسفة في ترجمته «المقال في المنهج»، اي ان مهمتنا تناول الكتابات العربية وفهم الكتّاب العرب للفلسفة الديكارتية.

علينا بيان صورة ديكارت في الثقافة العربية وتحديد ما اذا كانت صورة مبتكرة تستند الى فهم اصيل او كانت مجرد نقل لتفسيرات وتأويلات غربية عرفت عنه عند شراحه الاوروبيين، وبيان اثر الفلسفة الديكارتية ومدى تأثيرها ايجاباً وسلباً، ومقدار ما اسهمت به في النقل والتعريف بالفكر الغربي او استلهامها للفلسفة العربية القديمة موضوعاً ومنهجاً ومصطلحاً وتطويرها لذلك؛ وبمعنى آخر هل كان تعاملنا مع الفكر الغربي بحثاً وتأليفاً وترجمة يحسب حضارياً لصالح فكرنا ام لصالح الفكر الغربي؟ هل كان ديكارت بالنسبة لنا مناسبة للتغني بأمجاد الماضي حيث نعتبر ما وجد لديه من افكار نقلاً لما وجد لدى ابن سينا والغزالي وغيرهما[1]، ام كان مناسبة للنظر في مستقبل الفكر العربي من اجل تطوير العقل ومناهج البحث العربية؟ وما هي بالتحديد النواحي الايجابية التي يجب الابقاء عليها من هذا الفكر؟ وهل ادت الكتابات العربية حول ديكارت الى اثراء التفكير والعقلية العربية؟ ام اكتفت بالتعريف والمساهمة في عرض «سلعة ثقافية غربية»؟ واخيراً الا نزال مستهلكين للفكر الغربي؟ام ان لنا موقفنا الفكري المتميز عن الغرب والمرتبط بتاريخنا الحضاري العام؟

والكتابة عن «الديكارتية في الفكر العربي» قراءة لمن اسسوا خطابها العقلاني في وعينا المعاصر ـ والتأسيس فعل فلسفي هام ـ ورؤية لأفكارهم وتفكير فيما قدموه من اسس وبدايات. تلك مهمة آن اوانها. وقراءة خطابات طه حسين ويوسف كرم والخضيري وعثمان امين مهمة مزدوجة لا تكتفي بالرصد والعرض لكنها تحاول الفهم والتفسير ومن حق هؤلاء الرواد علينا قراءة اعمالهم واعادة التفكير فيهم فقد قدموا اسهامات اساسية تحتاج منا الى اعادة بناء لما قدموه وتفسيره. لا يعني ذلك ان نبصر بعيونهم، بل ننظر الى ما نظروا اليه بعيوننا نحن ونرى. والتفكير رؤية اي نفكر فيما فكروا فيه ثانية وان نكمل مشروعهم ان كان ذلك مستطاعاً. وفي هذا السياق تأتي هذه الدراسة وهي جزء من مشروع اساسي يهدف الى تتبع الاتجاهات الغربية الاساسية في الفكر العربي الحديث والمعاصر[2] وهو الاطار العام الذي تندرج فيه دراسة الديكارتية او القراءة العربية لديكارت[3].

والقراءة التي نحاول تقديمها لقراءات الرواد للفكر الغربي، وبالتحديد للفلسفة الديكارتية التي تمثل في نفس الوقت خطاباتهم الفلسفية، هي قراءة مزدوجة ورؤية معاصرة لجهود قارئيها. فعنوان بحثنا فيه تشديد على الجزء الثاني منه، تشديد على القراءات العربية المختلفة للنص الديكارتي، فالاهتمام منذ البداية بجهود روادنا، لا يهدف بالطبع الى اعطاء رصيد ببليوغرافي لتلك الجهود، بل نسعى الى تحديد وبيان مسائل معينة اوقفتنا عليها قراءتنا، ووجدنا فيها القضايا الاساسية التي تمحورت حولها الكتابة في الفلسفة الديكارتية وهي: المنهج، واللغة الفلسفية، والوعي والعلم، تلك التي شغلت مفكرينا او بمعنى ادق التي تمثل نتيجة جهودهم نجدها على التوالي عند كل من: طه حسين في تطبيقه للمنهج الديكارتي على الادب وفي النقد الادبي[4]، ومحمود الخضيري في بعثة اللغة الفلسفية العربية القديمة كما وجدت لدى الفلاسفة العرب حين اقدم على ترجمة أول واهم نص لديكارت في الثلاثينات وهو «المقال في النهج»[5]، ثم عثمان امين، وعند آخرين: يوسف كرم، نظمي لوقا، وكمال يوسف الحاج في تقديم المثالية الديكارتية ويؤكد على الجوانب الحدسية الايمانية للوعي في الكوجيتو الديكارتي، ثم نجيب بلدي ويحيى هويدي في تقديمها للصورة الواقعية العلمية لديكارت واخيراً الدراسات التي قدمها محمد عابد الجابري ومحمد وقيدي لديكارت في اطار كتاباتهم في الابستمولوجيا. وسوف نعرض في هذه الدراسة لتلك الصورة المعروفة عن ديكارت والتي تقدمه فيلسوفاً للمثالية المؤمنة التي تمثلت بصورة جلية عند عثمان امين وكمال الحاج ويوسف كرم وجميل صليبا ونظمي لوقا اي اصحاب الاتجاهات المثالية الحدسية الدينية في الفكر العربي.

2) بدايات التعرف على ديكارت

والاهتمام بديكارت في العربية قديم ظهر في المجلات العربية قبل نهاية القرن الماضي، فقد ارسل احمد افندي عثمان الورداني بالقباري بالاسكندرية الى مجلة الهلال في اول يناير 1897 يسأل عن «ديكارت والديكارتية» قائلاً من هم الكرتازيون، وفي اي عصر كانوا، ومن هو المؤسس لمذهبهم وعلى اي اساس بنى هذا المذهب؟ واجابت الهلال وعرفت بالفيلسوف وحياته واهتمامه بالرياضيات وتناولت فلسفته ومنهجه وقواعده وتختم الهلال تعريفها لـ «الكرتازينيون» ومذاهبهم «بأنه مهما يكن من امر هذه الفلسفة وتناقضها فقد نبهت اذهان العلماء الى الاستقلال في الفكر وحملتهم على البحث والتنقيب حتى توصلوا الى ما وضعوه من اسس الفلسفة الحديثة»[6]. وهناك بالاضافة الى ما قدمته الصحف نجد بعض الكتب الفلسفية الاولى المؤلفة والمترجمة التي ظهرت قبيل القرن الحالي وفي بدايته. وقد اشارت صراحة وضمناً الى ديكارت وفلسفته[7]. ويمكن ان نشير الى الاصول الديكارتية الاولى في الجامعة الاهلية المصرية[8]، فقد قدم المستشرق الفرنسي ماسينيون ((1883 - 1961)[9] والاسباني الكونت دي جلارزا[10] الاسس الاولى للصورة الاكاديمية عن ديكارت في محاضراتهما بالجامعة الاهلية وبذرا البذور التي ظهرت فيما بعد لدى تلاميذهما: طه حسين الذي استمع للاول ودرس عليه وقدم المنهج الديكارتي مطبقاً في ميدان النقد الادبي، وزكي مبارك في الدراسة، وبالاضافة الى هذه الجهود هناك كتابات ومحاضرات مبعوثي الجامعة العائدين من الدراسة بالخارج والذين ساهموا في التعريف بالفكر الغربي والكتابة عن ديكارت مثل منصور فهمي وعلي احمد العناني[13] وغيرهما.

وتدور جهود الجيل الاول من خريجي الجامعة المصرية حول التعريف بديكارت والتعامل مباشرة مع فلسفته وتوضح كتابات عثمان امين عن هذه الفترة خاصة «الجوانية» وهو الذي يحمل خصائص فلسفته الخاصة مدى الاهتمام بما يُلقى في الجامعة المصرية من محاضرات عن ديكارت من الاساتذة الفرنسيين

والمصريين يقول: «فقد درس احمد امين ديكارت ومذهبه العقلي ومنهجه في الشك وكان هذا الدرس أول وأوضح ما سمعت وقرأت باللغة العربية عن الفلسفة الحديثة». . . فقد كان احمد امين يستعين على ايضاح نظريات ديكارت بأمثلة حية ينتزعها من حياتنا العصرية[14] ويتضح من حديثه ايضاً تأثير الاساتذة الفرنسيين في توجيهه لدراسة ديكارت خاصة اندريه لالند[15].

ويختار محمد مصطفى حلمي «نظرية الجوهر عند ديكارت وسبينوزا «موضوعاً لرسالته التي قدمها بالفرنسية لكلية الآداب بالجامعة المصرية للحصول على درجة الماجيستير واشرف على هذه الرسالة على التوالي: لالند وبرييه واسرتيه وروجيه ونوقش في مايو 1932[16]، ويظهر اهتمام محمد مصطفى حلمي بديكارت في تقديمه لاول ترجمة عربية للمقال في المنهج، حيث يتناول في دراسة طويلة لفلسفة ديكارت ونواحيها المختلفة ثم المنهج واهميته مشيراً الى تطبيق طه حسين له في النقد الادبي[17] ثم يعود في دراسته عن «طه حسين مفكراً» الى بيان علاقة فلسفة ديكارت ومنهجه بكتابات عميد الادب العربي[18].

ويكتب زميلهما محمد ثابت الفندي في فترة ما قبل تخرجهم مقارناً الغزالي بديكارت، ويرى ان البداية عند كل منهما وتيه الشك والارتياب الذي وقعا فيه ثم النهاية التي وقف عندها كل واحد منهما هي امور تستدعي الاهتمام وتسترعي الفكر لأنها تظهرنا على فصل من امتع فصول الفلسفة الاسلامية. ويقارن بينهما اعتماداً على «المنقذ من الضلال» للغزالي و«المقال في المنهج» لديكارت[19]. وقد بدأت مقالة الفندي حواراً هاماً بينه وبين الخضيري وهو علامة من علامات «الديكارتية» في العربية افتتاحه مرحلة نقل النصوص الديكارتية بترجمة «المقال في المنهج» ليكون امتداداً لجهود مدرسة رفاعة الطهطاوي في اتخاذ الترجمة وسيلة للتعامل مع الفكر الغربي من اجل تحديث العقل العربي[20]. لقد ادرك الخضيري ان العرب لا يحتاجون الى المنهج الفلسفي فحسب بل يحتاجون ايضاً الى نهج في التعامل مع الغرب، الى منهج في الترجمة خاصة في تلك الفترة التي واكبت وتلت الثورة المصرية في 1919. وينطلق الخضيري في بيان منهجه من قضية اساسية هي انه من المستطاع ان نعبر بالعربية عن كل معنى فلسفي مما حدده اصحاب اللغات الاخرى التي تحددت مصطلحاتها الفلسفية واستقرت لغتها التي تعبر بها عن اعمق المشكلات الفلسفية وذلك ببيان ما «تجلى من فضائل لغتنا على مر العصور عند التقاء الحضارات على مختلف وجوه الالتقاء»[21].

3) الديكارتية والجوانية:

كان من الطبيعي انطلاقاً من الاصول للدرس الديكارتي في الجامعة الأهلية، ومن العاصفة التي اثارها طه حسين في دعوته للمنهج الديكارتي، ومن اللغة الفلسفية التي حاول بها الخضيري تقديم اهم نصوص ديكارت ان تدشن الديكارتية في العربية بما يليق بها باعتبارها اكثر المذاهب ارتباطاً بالمثالية والروحية. حيث وجدت لدى عثمان امين الذي «يقتضينا الواقع ان نسجل انه يعد بحق من بناة الفكر الفلسفي المصري المعاصر»[22] ذلك القبول العقلي والتعاطف الروحي الذي جعل منه «بيت ضيافة لديكارت»[23] فهو ديكارتي في منطقه ونهجه وفي عقلانيته ومثاليته»[24] مما ادى الى سيطرة فهمه وتفسيره لديكارت على أجيال عديدة ولدى اكثر من باحث من اقطاب الباحثين في فلسفة ابي الفلسفة الحديثة الذين قدموا فلسفة ديكارت باعتبارها المثالية الروحية التي ترادف معنى الفلسفة نفسها. وكان رائد هذا التفسير الدكتور عثمان امين.

كان ديكارت يمثل بالنسبة لصاحب «الجوانية» اختياراً. وحين اختار عثمان امين ديكارت اختار

العقل والتنوير والارادة والحرية[25]، حيث انطلق من هذه الأسس الى تقديم جوانيته التي تنطلق من الوعي، وكان ديكارت وراء احتفاله الكبير برواد الوعي الانساني في الشرق: الأفغاني والكواكبي وإقبال[26] و«رائد الفكر المصري» محمد عبده[27]. ان اهتمام عثمان امين بديكارت يفوق كل وصف بحيث يمكن القول ان ما كتبه عن ديكارت اكثر مما كتبه عن اي فيلسوف آخر، واصبحت مؤلفاته عنه المرجع الكلاسيكي المعتمد الذي يشير به استاذ الفلسفة لطلابه من اجل معرفة ديكارت. وحين نتساءل عن الافكار التي كان يلتمسها عثمان امين عند ديكارت يجيبنا: «ان ديكارت قال للانسان خير ما يمكن ان يقال، قال له لا تقبل شيئاً على أنه حق ما لم يتبين بنور الفطرة وبداهة العقل انه حق» وقال له اولاً: انتبه! انت تفكر فأنت موجود» وقال له اخيراً «اذن انت حر فأنت اذن مسؤول»[28].

لقد سار عثمان امين مع ديكارت في الطريق الفلسفي لكن سؤالنا هنا هو كيف تعامل عثمان امين مع ديكارت وعند اي جانب من جوانب فلسفته المتعددة الانحاء توقف؟ وماذا رأى في فلسفة ديكارت وماذا قدم منها؟ وبمعنى ادق ما هي صورة ديكارت عنده وما اثر هذه الصورة في الثقافة العربية والفكر العربي؟ ويمكن القول بداية انه لا يمكن فصل تفكير عثمان امين واختياراته الفكرية عما كان يحدث في مصر في نهاية الثلاثينات وبداية الاربعينات حينما تحددت صورة ديكارت لديه اثناء وبعد عودته من بعثته الى فرنسا، لقد كانت مصر تبحث عن الاستقلال والحرية وكانت النخبة المثقفة تسعى نحو العقلانية في الفكر والليبرالية في السياسة وليست افكار احمد لطفي السيد ببعيدة عنا. فقد اثرت في طه حسين ومصطفى عبد الرازق اللذين اثرا بدورهما في طلاب الجامعة، ومنهم عثمان امين الذي وجد في منهج ديكارت وفلسفته اشباعاً لافكاره، لقد كان يريد الوعي والتنوير وقد وجدهما في «الكوجيتو» الا ان «الكوجيتو» بداية وليس نهاية، وسيلة وليس غاية. ان عيناً على ديكارت واخرى اكثر شفافية وأحد ابصاراً على اللغة العربية والفكر العربي. ومن هنا كانت الديكارتية اساس الجوانية وهذا يستدعي منا التعرض الى عثمان امين حياته وكتاباته وافكاره.

4) عثمان امين، التوجهات المثالية الروحانية:

يقص علينا عثمان امين في الجوانية رحلته من القرية الى الجامعة ويحدثنا عن اصراره على دراسة الفلسفة وعن السؤال الذي كان يشغله كثيراً ويؤرقه احياناً، وهو عبر ضرورة وجود فلسفة حياة يمتد اثرها الى الشعب والجماهير. . . «فلسفة تضع لنا مبادىء عامة لتربية جديدة فتوقظ الشعور الوطني في أبناء الأمة وتجعلهم يأبون حياة الضيم والمذلة ويحققون حياة الحرية والكرامة»[29]. ويظهر تأثره بأحمد لطفي السيد الذي حدثهم عن «اثر المفكرين والفلاسفة في تهيئة الاذهان للاصلاح والطموح الى عالم افضل»[30] كما توثقت علاقته بالشيخ مصطفى عبد الرازق، وكان لتوجيه الشيخ دوراً في تحديد مساره الفلسفي. لقد وعى حديثه في ندواته بمنزله بعابدين عن «انجع الوسائل لتغذية الحركة الوطنية وتنمية الوعي القومي بغية التخلص من الحكم الاجنبي وتحقيق الاستقلال التام»[31] وبالاضافة لهؤلاء فقد كان هناك كل من: احمد امين ومنصور فهمي وبالاخص يوسف كرم. وهو يذكر من الاساتذة الفرنسيين: اندريه لالند واميل برييه، وهما ممن ظهر تأثيرهم عليه في بعثته الدراسية في فرنسا.

وقد حدد عثمان امين برنامجاً لنفسه بعد عودته من البعثة وهو مشروعه الذي يطلق عليه: «سلسلة اعلام الفلسفة» التي اصدر منها: الرواقية وديكارت. وسلسلة «نفائس الفلسفة الغربية» التي تمثل الهدف

الثاني في مشروعه الذي حدد لنا مجاله في مقدمة ترجمته للكتاب البيربابيه «دفاع عن العلم» وتتمثل هذه النفائس في: ما بعد الطبيعة لارسطو وخواطر لماركس اوريليوس وتأملات ديكارت ومبادىء الطبيعة البشرية لباركلي، ومباحث العقل الانساني لهيوم ومقدمة لكل ميتافيزيقا مستقبلية لكانط وغيرها[32]... والسؤال الآن: ما الذي جذب انتباه عثمان امين الى هؤلاء؟ يخبرنا في تصديره للطبعة الثانية من «الفلسفة الرواقية» عن السبب الذي من اجله اختار الكتابة عن الرواقيون: فهم اخلاقيون مثاليون، اذا عرفوا ان شيئاً هو الحق جهروا به وثبتوا عليه، واذا اقتنعوا بأن فعلاً هو الواجب التزموه لم يثنهم عن ادائه شيء، وهم «جوانيون» يلتفتون الى الحياة الداخلية للانسان ولا يبالون بما يقع له من احداث خارجية وكان هدفه من نشر كتابه «ان تجد فيه شبيبتنا الواعية نماذج حية ملهمة للبطولة والكفاح ودروساً نافعة في الثبات على المبدأ والاخلاص للواجب وتعاليم ايجابية قويمة تشد من ازرها في السعي الى المثل العليا والذود عنها»[33].

ويحدد لنا في تصديره لكتابه عن شيلر بواعثه للاهتمام بالفيلسوف الانجليزي صاحب المذهب الانساني، احد هذه البواعث يمت الى شعوره القومي والثاني يمت الى مزاجه الفلسفي، لقد عثر على كتيب عن «مستقبل الامبراطورية البريطانية» وكان مؤلفه ـ شيلر ـ يتنبأ بقرب انهيار الامبراطورية، مما جعله يلتمس بقية مؤلفاته ومنها «دراسات عن المذهب الانساني» فراعني ما لمسته فيه من تقارب عجيب بين مزاج المؤلف ومزاجي»[34]. وطبيعة هذا المزاج تتحدد في: ضيق بالمذاهب التجريدية الجافة، ونفور من الفلسفات الاخلاقية المتعالية حيث نجد الفلاسفة قد ضيقوا تجربتنا من ناحية العاطفة والارادة بينما وسعوها، ـ بغير حساب ـ من ناحية الفكر، واهتمام بالفلسفة التي ترضي القلب كما تقنع العقل. ان عثمان امين يدعم العقل بالقلب والوعي بالروح، وهذا ما يتضح في مجمل محاولاته الفلسفية. ففي كتابه الذي يحمل الاسم نفسه «محاولات فلسفية» يقدم لنا مجموعة من الدراسات المختلفة التي «الف بينها احساس واحد وغرض واحد هو الابتهاج بطلب المعرفة والسعي الى سبيل الحق والاتجاه الى قيم الروح»[35].

ويتحدد موقف عثمان امين الفلسفي في السعي لتأكيد قيم الروح. فتنمية القوى الروحية في الفرد اهم بكثير من تنمية قواه الذهنية لكي يصل الى درجة النضج بمعناه الصحيح[36]. فالروح والفكر هما الاساس في قيام الحضارة ومن فضل ديكارت على الانسانية المفكرة ان اصبح واضحاً للعيان ان المثل الاعلى للوجود الانساني هو تحقيق وعي الانسان لذاته ولمكانه في العالم. وهذا المعنى الحديث من معاني النظر الفلسفي هو الذي ينبغي ان نحرص كل الحرص على اذاعته وتعميمه حتى يتيسر للفلسفة ان تؤدي في المجتمع رسالتها الجليلة.

وعلى ذلك يمكن تحديد السمات التي تميز الروح الفلسفي عند عثمان امين كما تظهر في كتابته عن الجوانية وتحديده بخصائصها، «فهي فلسفة نبتت من تأمل روح الدين والاخلاق»، «فلسفة مفتوحة لا تريد ان تكون مذهباً مغلقاً، تستند على تزكية الوعي الانساني وممارسة الحرية النفسية وتسعى الى تعميق فهمنا للمقاصد والمعاني والقيم»[37]. ويؤكد عثمان امين ان نهج جوانيته لا يزال كبير الاهمية لفهم العالم وفهم الانسان فضلاً عن انه يفسح الطريق لترسم المثل الاعلى وتخطى «ما هو كائن» الى «ما حقه ان يكون»، ويثبت الايمان بقدرة الروح الخالص على العلو على حدود الواقع في المكان والزمان واليقين بحرية الذات الواعية في اصلاح الفرد واصلاح الجماعة»[38]. وتبين لنا محاولاته الفلسفية خصائص فلسفته من جهة واهتمامه بديكارت من جهة اخرى[39]. تقوم الفلسفة على اسس هي: الوعي والارادة والحرية، من اجل

تـدعيم قيم الروح مقـابـل قيم المـادة كـما يتضـح من كتـاب «شخصيات ومـذاهب فلسفية» الـذي ظهـرت طبعته الاولى 1945 عن الجمعية الفلسفية المصرية التي كان عثمان امين سكرتيرها حيث يؤكـد اهمية الفلسفـة من اجل سد النقص في القوة الروحية تماماً كما فعـل ديكـارت، فـالفـلاسفـة هم رافعـو لـواء القـيم الـروحية[40]. وهـذا ما وجهه عثمان امـين نحـو «رواد المثالية الغربية» كما وجهه نحـو «رواد الوعي الانسـاني في الشرق الاسلامي».

وكما كانت الرواقية عنده بمثابة المثل الاعلى للسلوك وفلسفـة فشته هي الفكـرة التي تصـل الى اقصى درجات الوعي وتتحول الى عمل كـانت فلسفة كـانط E. Kant، كـما قدمهـا اميل بـوتـرو، فلسفـة حـريـة الارادة مقـابل الفلسفـة الوضعيـة، «لقد نهض بـوترو عـلى اتساق مـع خصائص العبقـرية الفـرنسية لنصرة الدعوى الفلسفية التقليدية دعوى حريـة الارادة، تلك المسألة الاثـيرة لدى ديكـارت والتي جعلها الفيلسـوف مناط الكمال وصـورة التشبيه بـالخالق سبحـانه»[42]. . لقد الح بوترو على فكرة الحرية في الافعـال الانسانيـة وافسـح الى جـانب العلم مكـانـاً للقيم الـدينيـة والاخلاقية والجمالية[43].

ان عثـمان أمين «فيلسـوف كبـير وبـاحث فـذ» تعددت أهدافه وتنوعت مـراميه، ألف وتـرجم وحقق واتـاح لقـرائـه ان يقـرأوه في العـربيـة والفـرنسيـة والانجليزية، وهو في تأليفـه وتحقيقه يوازن بـين الآراء ويقابل بين النصوص. وله في كل ذلك موقف خاص ورأي شخصي وهو حين يؤلف او يكتب انمـا يعبر عن نفسه ويقدم ثـمار جهوده. ومـا من مؤلف من مؤلفاتـه إلا ويحمـل طابعـه الخاص ويعـبر عن شخصيتـه[44]. وهـذا الحكم ينطبق عـلى جهده الاسـاسي في الفلسفة الحديثة عـامة وفلسفـة ديكارت عـلى وجه الخصـوص التي تحمـل خصائص عثـمان امين بنفس القـدر الذي تعبر به عن افكار ديكارت. ومن هنا كانت الديكارتية كما قدمها صاحب الجوانية فلسفة مثاليـة روحانيـة كما سيتضـح من الفقرة القـادمة عن الاستـاذ ومن تابعـوا تفسيره المثالي والسمات التي تميز هذا التفسير في الثقافة والفكر العربي.

5) الديكارتية والواقع الثقافي العربي:

لقد ساهم عثمان أمين في نشر الـديكارتيـة أكثر من نصف قرن منذ تخرج من الجامعـة 1930 حتى وفاتـه في 17مايو 1978، وقد تنوعت اهتماماته بهذه الفلسفـة بين التـأليف والـترجمـة والمحـاضرة بـالعـربيـة والفـرنسيـة فالاستاذ عضو شرف في جمعية اصدقاء ديكارت، وقد تنبـه منذ فـترة ليست بالقصـيرة الى «اثـر ديكـارت في مصر» وهـو اثـر لـه فيـه فضـل، وحـاضر تحت هـذا العنوان في الجمعية الديكارتية في باريس[45]. لقد افاد عثـمان امـين من ديكـارت في تحـديـد معنى وطبيعـة الفلسفة، واتخذ منه نقطة انـطلاق في نقد الاتجـاهات المخالفة من وضعيـة ووجوديـة وصولاً الى المعنى الحق الـذي يرتضيـه لمعنى الفلسفة[46]. لقـد تعلم ممـا بينـه ديكارت من «حقيقة الكوجيتو» ان يقظة النفس وانتباه الـذهن همـا الشرط الاول لسلوك الـطريق الفلسفي ومن هنـا وجد الاستـاذ صدى نفسـه في الفيلسـوف، فهو يتفق معه في الكثير من الآراء[47]. فالعقل والفكر والكوجيتو والـوعي هما المعـبر الاساسي لعـالم الفلسفة والحقيقـة. وهـذا المعـبر او الـطريق هـو الـذي عبّـده ديكـارت واشار عـلى الانسانيـة ان تسلكه، ومن هنـا كان قريباً الى نفس عثمان امـين الذي كتب في مقـدمة الـطبعة الـسابعة من كتـابه الهـام عن ديكارت يصفـه بـأحب الصفات الى نفسـه، تلك الصفة التي يعـطيها لمـن يـأنس اليـهـم في تساريـخ الـفـلسـفـة وهـي «الجوانية»[48]. لقد احب عثمان امـين ديكارت وخشي البعض من هـذا الاسراف في الحب. امـا لمـاذا هـذا الحب الدائم والمبكر والكبير فذلك لان ديكارت عنده رائـد من رواد التنويـر، فهو المـوكـل بتنقيـة الاذهـان

وتنوير العقول «وصورته صورة العامل المصري الموكل بإضاءة مصابيح النور في شارع البرموني بحي عابدين[49] وسنلاحظ كلما تقدم بنا البحث تلك الاحالات المتبادلة التي يقيمها عثمان امين بين ديكارت وفلسفته من جهة والحياة المصرية والشخصيات الشرقية واللغة العربية من جهة ثانية. وتلك الاحالات لا تخلو من دلالة. واظن هذه الدلالة لم تكن لتتضح لو لم يكن عثمان امين عربياً مثلاً لو كتب هذه الدراسات عن ديكارت في باريس. انه كباحث عربي لا يستطيع الا ان يقدم ديكارت عبر هذه الصفة ومن خلال هذه الاحالات.

ان رائد «الجوانية» الذي احب اللغة العربية وكتب كثيراً عن فلسفتها واختير في سنوات عمره الاخيرة عضواً بمجمع الخالدين يرى فيما كتبه عن «الجوانية وفلسفة اللغة العربية»[50] ان اول السمات التي تتميز بها لغة القرآن هي انها تنمو نمواً من المثالية لا نظير له في اي لغة من اللغات الحية؛ ويرى ان الغربيين يجاهدون من وراء لغاتهم الى رفع النقاب عن المثالية التي لم يستطع استكشافها أحد منها الا اثنين من كبار فلاسفتهم المحدثين: «ديكارت وكانط»[51] وقد بين في محاضرة القاها على جمهور فرنسي عند «ديكارت واللغة العربية» ان الديكارتية اقرب الفلسفات الغربية مطابقة لفلسفة اللغة العربية»[52]. ان اهتمام عثمان امين وهبه الشديد لديكارت جعلاه يهدي كتابه «لمحات من الفكر الفرنسي»، وهو فصول كتبها بين 44-1968، كـ «تحية واعجاب إلى الأمة التي انجبت ديكارت، الأب الروحي لفلاسفة العصر الحديث الذي كان اول صوت ارتفع في اوروبا منادياً باقامة العقل وكرامة الإنسان ومستنكراً نزوات العنصرية منددا بآفات الطغيان»[53]. ولم يتوقف عثمان امين عن الكتابة عن ديكارت، ويأتي في مقدمة هذه الكتابات سفره الفخم عند ديكارت الذي صدرت طبعته الأولى بالقاهرة عام 1942.

ويمكن ان تتبع عبر الطبعات المختلفة للكتاب تطور فهم عثمان امين لفلسفة ديكارت خلال اكثر من ثلث قرن، منذ الطبعة الاولى حتى السابعة 1976، حيث يرى في البداية «ان دراسة مؤلفات ديكارت من ضرورات كل ثقافة رفيعة عميقة»[54] ويقف الاستاذ في دراسته عند المسائل الكبرى لأنه يقدم كتاباً مدرسياً قاصداً ان يكون اداة نافعة للباحثين مثيرة لهمم المستزيدين... ومن اجل ان يسد فراغاً ظاهراً في دراسة الفلسفة وتاريخها في مصر والعالم العربي[55] وما ان صدرت الطبقة الاولى حتى أحدثت اهتماماً كبيراً تمثل فيما كتبه يوسف كرم الذي تتلمذ عليه عثمان امين، والعقاد الذي حرص المؤلف على نشر رسالته اليه في مقدمة الطبعة الثانية التي قدم فيها بعض البحوث التكميلية حول الفلسفة الديكارتية خاصة عن نظرية ديكارت في الاجتماع، واثر الفلسفة الديكارتية.

وصدرت بعد ست سنوات الطبعة الثالثة في سبتمبر (ايلول) 1952 اي بعد مرور ثلثمائة عام على وفاة الفيلسوف. وكثرت الكتابات عنه، فأضاف عثمان امين فصلاً جديداً عن «علم الجمال الديكارتي»[56] وآخر عن «الدراسات الديكارتية» مع كثير من الهوامش والمراجع. وقد تحولت الديكارتية عند عثمان امين مع الطبعة الرابعة 1957 من كونها ضرورة من ضرورات كل ثقافة رفيعة عميقة لتكون «محاولة تحقيق وعي الإنسان لذاته ولمكانه في العالم بحيث يرد كل إساءة إلى افكار واضحة متميزة... وهذا المعنى من معاني النظر الفلسفي هو المعنى الذي يجب ان نحرص على اذاعته وتعميمه حتى يتيسر للفلسفة ان تؤدي في المجتمع الحاضر رسالتها الجليلة»[57]. هنا ولأول مرة تظهر كلمة المجتمع، أو دور «الوعي الديكارتي» في المجتمع الحاضر «فمفهوم الفلسفة ورسالتها الحقيقية على نحو ما أراد لها ديكارت قد برز في ايامنا هذه (السنوات الاولى

للثـورة). وليس ادل عـلى ذلـك مـن ان الـرئيس عبـدالنـاصر حـين اراد ان ينشر آراءه اختـار كلمـة الفلسفة عنواناً لكتابه فلسفة الثورة»[58] هنا تجـاوز دور الفلسفـة عند عثـمان امين مجـرد الثقافـة إلى أن تصبح وعياً بأهداف المجتمع وتحولت الكتابة عند «ديكارت» إلى منـاسبة للحـوار والنقاش مـع غيره من الاسـاتـذة الـداعـين إلى اتجـاهـات فلسفيـة مختلفـة. وكـانت الديكارتية مقابـل هذه الاتجـاهات هي الفلسفـة (بأل التعريف)، وهي الاساس والمعيار لما سواها.

قدم عثمان امين الديكارتية بـاعتبارهـا الـ «فلسفة» مقابل الاتجاهات الـوجوديـة والوضعيـة، وبالـطبع لا يقصـد الوجـودية الفـرنسية او الالمـانية ولا الـوضعيـة الانجليـزيـة بـل يقصـد الـدعـوة إلى تلك المـذاهب (الموضات) في بـلادنا. هنـا تجاوز عثـمان أمين النقـل والعـرض إلى تبني الديكـارتية ذات الصبغـة الجوانيـة والتفسـير المثالي في منـاقشـة الاتجـاهـات الفلسفيـة في مصر، او بمعنى أدق امتداد هذه الاتجاهات الغربية في بلادنا.

فالديكـارتية هي الفلسفـة بألف لام التعـريف أما «المـوضـة» المـذهبيـة الجـديـدة التي وردت الينـا في السنوات الاخيرة من فرنسا وانجلترا وامريكا فمتشحة بوشاح «الوجودية» تارة و «الوضعية» تارة أخرى، فـما هي الا بـدعـة مـاجنـة لا صلة بينهـا وبـين مـذاهب الفلسفة الخالـدة، ومن ثم فهي لا تلقى رواجاً الا في مجتمعـات حـائـرة ولا يـطيب لهـا عيش الا في بيئـات متعفنة». فذلك الطراز من الوجودية الفرنسية المتحدة الـذي قرعت لـه الطبـول في بلادنـا انما هـو مـذاهب جماعة من المتهـالكين المتشـائمين اقفـرت نفوسهم من الايمان فأعلنوا الزندقة ديناً والقذارة فنـاً والبذاءة ادبـاً ورأوا الحيـاة سخفـاً يـورث القلق والضجـر والقـرف واعـوزتهم النيـة الـطيبـة والضمـير الحي، وتمـادوا في الـدعوة إلى مـواقف من الحياة لـزجة مـائعة، فـتراهم يتشـدقون بـالحريـة ويباهـون بالانحـلالية ويتخـذون شعاراً «لا تستح واصنع ما شئت»[59].

ويستمـر هـذا المـوقف الـديكـارتي الجـواني من الوجودية وتخف حدتـه ويتطور إلى حـوار خلاق بلغـة فلسفيـة هادئـة، كما نجـد ذلك في حـواره مع سـارتر (الدراسة الخامسة من «لمحـات من الفكر الفـرنسي») حيث يرجع عثمان امين قول سارتر: «إن ما نختاره لا يمكن ان يكون حسناً عندنا دون ان يكون حسناً عنـد الجميع إلى نظرية الادارة الاخلاقية عند ديكـارت»[60] ويرجع عبارة سارتر: ان الحريـة هي وعيها في النهـاية الى الكـوجيتـو الـديكـارتي[61] ويـنـاقش العـديـد من القضايا الوجوديـة على ضـوء فلسفة ديكـارت، ويرى ان الزعم بأن ديكـارت كان يـدعو إلى مـا يدعـو اليه سارتر باطل: «ان نعمل بغير امل» ابعد ما يكون عن التعبير عن روح الاخلاق الـديكارتيـة»[62]. كما يـظهر موقفه من الوجودية ايضاً في تصديره تـرجمة لنصـوص هيدجر في «الفلسفة والشعر» وهـو موقف اعـراض لا كراهية.[63].

كـما يقـدم الـديكـارتي مقـابـل ذلـك الضرب من الوضعية الانجليزية والامريكية تلك التي جـاءت الينا في زفـة وجـرى بعضهم في ركـابهـا وتشبث البعض الآخر بأذيـالها، وهي مـذهب جماعـة من ذوي البلادة والبلاهة. لقد اقتطعوا من العلوم صيغاً لم يفهمـوها، واخذوا يلوكونها في رطانة مرذولة ويرددونها في حذلقـة مفضـوحـة، وعجـزوا عن ادراك اي فكـرة عـامـة، فالتصقوا بعالم الحسيات واعتـبروا ما عـداه خرافـه.. واخذوا يتفاخرون بانكار الروح والسخرية من العقـل والتهجم عـلى الفكـر وتشبثـوا بـالأمـر الـواقـع فيـما يـزعمون، وتعلقـوا بالتجـربة الـراهنة فيـما يدعـون، واتخـذوا شعاراً لهم: «لا تفهم ولا تعقـل، وثابـر على المكابرة والمقاومة»[64].

لن نتوقف هنا امام هذه القطيعة التي حـاول عثمان امـين اقامتهـا بين العقـلانية الـديكارتيـة والمـذاهب: الشعـورية الـوجوديـة والحسية الـوضعيـة، ولا ذلـك

الرفض لما عداها من فلسفات ـ وإن كانت لغة صاحب العقلانية هنا عاطفية اكثر من كونها منطقية، حماسية اكثر منها عقلانية. فإن ذلك يعود في النهاية الى كونها بعيدة عن الروح قريبة من المادة مما لا يتفق مع مثاليته الجوانية. ان عثمان امين لم يحاول رصد وتحليل الفكر الفلسفي في مصر المعاصرة ولكنه اراد تثبيت الديكارتية والروحية امام ما قد يطغى عليها من اتجاهات أخرى.

ويعدد في مقدمة الطبقة الخامسة من كتاب ديكارت الابحاث المختلفة التي ظهرت عن فلسفة ديكارت والتي ألقيت في مؤتمر الفلسفة في «روايومون» بفرنسا 1957 والتي طبعت في مجلد ضخم يضم ابحاث ومناقشاتِ المؤتمر الذي اشترك فيه كثير من الديكارتيين ويهدف من ذكر هذه الابحاث ان يجد الدارسون من شبابنا من هذه البحوث مادة نافعة للتفكير الفلسفي. ويضيف في طبعة الكتاب السادسة إلى الباب الثاني فصلاً خامساً عن «المقال في المنهج» ويوسع الفصل السادس من الباب الثالث عن «مذهب الاخلاق» والفصل الاول من الخاتمة عند «ديكارت والتجديد الفلسفي» وذلك بإضافة ترجمة الرسالة التي وجهها «برجسون» إلى مؤتمر ديكارت المنعقد في باريس 1937[65].

وتظهر مقدمة الطبع السابعة من الكتاب تحمس عثمان امين الشديد لديكارت وتفسر في نفس الوقت طبيعة وسمات الديكارتية كما يعبر عنها صاحب «الجوانية» فهو يرى «أن من حق الامة الفرنسية ان تعتز بأكبر ابنائها ديكارت». وديكارت عنده ظل متمسكاً بعرى عقيدة دينية خالصة كان لها اكبر الاثر على مذهبه العقلي وافكاره العلمية.[66]. لقد اعلن ديكارت من قيمة الوعي الإنساني ويتضح من تأمل الكوجيتو الديكارتي ان المهمة الاولى للفلسفة هي دراسة «الانية» او الوعي الإنساني. والواقع انه ابتداءً من ديكارت اصبحت الفلسفة تحليلاً للوعي وتحليلاً لمسالكه وقواه. ووعي الإنسان لذاته أصبح اساس كل فكر يقوم لدى الإنسان. وقد دفع هذا الاهتمام بالوعي عثمان امين إلى تقديم جوانيته التي تنطلق من الوعي، وكان الوعي وراء احتفاله الكبير برواد الوعي الإنساني: الافغاني واقبال ومحمد عبده وان كان الاهتمام بالامام محمد عبده سابقاً أو مصاحباً للاهتمام بديكارت.

فحين اطلع على اعمال ديكارت، تساءل: الا تستحق آثار الشيخ محمد عبده شيئاً من عناية الوزارة التي تقوم على التعليم فتطبعها طبعاً يليق بمنزلة هذا الامام؟[67] وبعد ان حاضر عن ديكارت طلب من منصور ـ بعد ان بلغه نبأ المحاضرة ـ ان يسمح له بأن يعد تحت اشرافه بحثاً في الاخلاق الاسلامية في رأي محمد عبد»[68]. وفي عرضه للتأملات الديكارتية في مجلة تراث الإنسانية يتحدث في فقرة هامة عن «ديكارت ومحمد عبده»[69]. ويتناول في الفصل الرابع من الباب الثاني في كتابه عن «رائد الفكر المصري» نظرية الحرية عند محمد عبده التي تتشابه مع فلسفة ديكارت ويقارن بين موقفيهما ويشير إلى نقاط الاتفاق بينهما في هذه النظرية[70]. ويرى ان الاستاذ الامام يطبق على تفسير القرآن القاعدة الديكارتية المشهورة «قاعدة البداهة»[71] ان عثمان امين يتجاوز تلك التشابهات السطحية بين الأشخاص إلى الافكار التي يطرحها كل منهما بحيث يمكن القول ان ديكارت عند عثمان امين يلقي اضواء كاشفة لفهم الفلسفة الاسلامية، كما يلقى في نفس الوقت الضوء على فهمه للديكارتية، ذلك الفهم الذي يظهر في كتاباته المختلفة ولا يقتصر على كتابه عن ديكارت وتبين كتابات عثمان امين وترجمته لنصوص فلسفته مقدار الاهتمام الذي اولاه لرائد العقلانية الحديثة. فبالاضافة إلى سفره الضخم عن «ديكارت» فقد خصص له فصلاً هاماً في «رواد المثالية الغربية»[72] وآخر في «مذاهب وشخصيات فلسفية»[73] بالإضافة

إلى دراستيه عنه في «محاولات فلسفية»[74] وعرضه للتأملات في المجلد الأول من تراث الإنسانية كما يخصص الفصل الرابع من الباب الرابع من «الرواقية» للحديث عن «الرواقية والديكارتية»[75] بالإضافة للإشارات المتعددة التي نجدها في: «رائد الفكر المصري» و«الجوانية» مع عدد لا يحصى من المحاضرات التي ألقاها بالعربية والفرنسية.

ومن الهام ان نتوقف عند ترجماته لنصوص ديكارت ومساهمته في تقديم «نفائس الفلسفة الغربية» لقراء العربية. وفي مقدمتها «التأملات في الفلسفة الأولى» و«مبادىء الفلسفة» وقد اقتصر عثمان امين في تقديمه لترجمة التأملات على التعريف بالكتاب وبيان الطريق الذي سلكه ديكارت، ولم يعرض لحياة ديكارت ومذهبه باعتبار أن «أبا الفلسفة الحديثة» لم يعد في حاجة إلى التعريف. «ان التأملات هي كتاب العصر، وفيها ما يدعو اهل الفكر واخوان الصفا في هذا العصر المادي الصاخب إلى النظر في مشاغل الروح والخلود إلى امتحان النفس»[76]. ويرى في نهاية تقديمه لكتاب «مبادىء الفلسفة» «ان الكلمة الاخيرة في كل من فيزيقا وميتافيزيقا ديكارت هي المثالية الجوانية»[77]. ويصحح فهم شراح ديكارت وناشري كتبه[78]، ويؤكد على الناحية العملية في فلسفته[79] وهي ناحية هامة لم يتوقف عندها كثير من باحثي ديكارت في العربية الا ان الناحية الهامة التي توقف عندها عثمان امين في فلسفة ديكارت نجدها في كتابه «في اللغة والفكر» الذي أصدره 1966 وتوصل فيه إلى اسهام ديكارت في اللغة وهي ناحية زاد الاهتمام بها في الوقت الحالي. والجدير بالذكر هنا ان تقديم عثمان امين للسانيات الديكارتية تم في نفس الوقت الذي اصدر فيه عالم اللغة الشهير نُوام تشومسكي N.Chomsky كتابه اللسانيات الديكارتية Cartesian linguistics 1966.

6) الديكارتية واللسانيات التوليدية التحويلية:

حين دعي عثمان امين ليحاضر في طلاب الدراسات الادبية واللغوية بمعهد البحوث والدراسات العربية عن «اللغة العربية والفكر المعاصر» أراد أن يتناول المحاولات الجديدة في العربية للتعبير عن مفاهيم الثقافة العصرية. ونظراً لتعدد جوانب النظر في هذه المحاولة وتشعب موضوعاتها فقد قدم لنا دراسة تمهيدية لموضوع اللغة والفكر بوجه عام. وكانت حصيلة هذه المحاولة محاضراته التي نشرت بعنوان «في اللغة والفكر». يتناول في المحاضرة الاولى اهمية اللغة وانها خاصية للإنسان بما هو حيوان ناطق. فاللغة خاصية الإنسان كما رأى ديكارت فيلسوف العصر الحديث. وديكارت حين استأنف الفكرة الفلسفية التي تصورها ارسطو بتعريفه للإنسان بأنه حيوان ناطق أضاف اليها ان اللغة تحقق «ناطقية» الإنسان الحقيقية بشقيها الفكر والعمل ومن ثم تجعله اهلاً لأن يكون خليفة الله على الأرض.

ويتناول في المحاضرة الثانية «ما هي اللغة؟» ويبين انها شغلت الباحثين منذ أقدم العصور. عرض لها افلاطون في «اقراطيل» ولا يزال البحث في طبيعتها موضع اهتمام الكثير من المشتغلين بفلسفة اللغة كما نرى عند ديكارت. ويعرض لتعريفات اللغة كما جاءت في قاموس لالند، ذاكراً ان المهم في اللغة هو «القصد والتدبر والوعي والتفكير»[80]؛ ومن هذا الوجه يلزمنا ان نسلم بصحة ما اوضحه ديكارت في القسم الخامس من «المقال في المنهج»[81] من ان اللغة هي الخاصية التي يتميز بها الإنسان عن سائر الحيوان وهذا الموضع اشار إليه واعتمد عليه تشومسكي وشارحو آرائه من العرب والغربيين. ويرى أن باللغة يخطو الإنسان إلى مجاوزة وجوده البدين والبيولوجي إلى وجوده الفكري، أو إلى تحقيق «الكوجيتو» بلغة ديكارت، وهو ما لم يلتفت إليه الماديون أو الجدليون

او الوضعيون. وهذا ما حاول ان يظهرنا عليه تشومسكي في انتقاده للوضعية والتجريبية وعلم النفس السلوكي، وكما يتضح من كتاباته التي تبين الأسس الفلسفية لنظريته في اللغة وهي: اللسانيات الديكارتية»، «اللغة والفكر»، و«مشكلات المعرفة والحرية»، حيث لا وجود للغة خارج اطار تصورها العقلي. فالنظرية التوليدية التحويلية لدى تشومسكي تنحو منحى عقلانياً يمكن اعتباره النمط العقلاني المتماسك والوحيد الذي برز في السنتين الاخيرة والذي استند على الدراسات التي تناولت اللغة وعملية اكتسابها، ويلتقي هذا المنحى مع المذاهب والآراء العقلانية في مجال اللغة الإنسانية التي من ابرزها المذهب الديكارتي الفلسفي وآراء الفيلسوف الألماني همبولدت.

إن اهتمام عثمان أمين بالعودة إلى ديكارت لبيان العلاقة بين الفكر واللغة يقربه من الاهتمامات المعرفية التي تحاول ان تؤسس للنظريات الحديثة في علم اللغة بالعودة إلى عقلانية القرن السابع عشر وإلى فلسفة ديكارت بالتحديد. فقد خصص احد الباحثين العرب فصلاً من كتابه «الألسنية»: قراءات تمهيدية «لعرض وجهة نظر ديكارت في اللغة. تلك التي تمثل الاصول النظرية لتشومسكي الذي اقام نظريته على اسس عقلية كما يتضح من دراسته («علم اللغة الديكارتي»). وما يهمنا هنا ليس بيان أسبقية عثمان أمين لتشومسكي ولا تشابهه معه وتزامنهما في الوصول الى الاساس العقلاني للغة كما تمثل عند ديكارت بل هو إرجاع عثمان امين اللغة إلى الفكر ذلك الجانب الذي شغل في كتابه فلسفة اللغة العربية ومحاولته للتأكيد على مثالية اللغة خاصته الديكارتية مما أدى إلى بحث موضوعات ربما كانت مهملة من بعض الباحثين في فلسفة ديكارت وكان من أوائل من اشاروا اليها واكدوها.

الحواشي

(1) تتجه معظم الدراسات التي تتناول ديكارت الى مقارنته ببعض الفلاسفة العرب كما يزين كثير من الباحثين دراساتهم ببيان اسبقية المفكرين والفلاسفة العرب في الشك واليقين وبعض نظريات ديكارت. أنظر الفندي: حجة «الامد» الغزالي شيء من فلسفته، ص 5-17، صحيفة جامعة القاهرة، العدد 2 ديسمبر 1929، الخضيري: مقارنة ديكارت بفلاسفة العرب، هل المقارنة بينه وبين الغزالي ممكنة، المصور السابق العدد 3 يناير 1930، عثمان امين، الجوانية، دار القلم القاهرة، 1964، ص 75. وكتابه عن ديكارت، ط 7، وجميل صليبا: مقدمة ترجمة مقال في الطريقة، بيروت، 1953 م. ومحمود حمدي زقزوق: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، الانجلو المصرية، القاهرة، 1973، وانظر موقفنا النقدي من هذه المقارنة في: «هل ديكارت فيلسوف عربي مسلم»، جريدة السياسية السودانية، 19 ديسمبر 1986، مسألة الغزالي وديكارت، الاهرام القاهرة، 1987/6/5، الاهرام 1987/6/19.

(2) هذا العمل جزء من مشروع يتناول الاتجاهات الغربية المختلفة في الفكر العربي المعاصر ويتلو الديكارتية: الوجودية في الفكر العربي والداروينية في الفكر العربي.

(3) أنظر مقدمة هذا العمل، مجلة المنار، العدد 47، نوفمبر 1988 ص 140-155.

(4) طه حسين: في الأدب الجاهلي، دار المعارف بمصر، 1962.

(5) محمود الخضيري: المقال في المنهج، دار الكاتب العربي، القاهرة ط 2 1967.

(6) يتضح في هذه الرسالة المعرفة المبكرة بديكارت كما يتضح من رد الهلال الموقف النقدي من الفلسفة الديكارتية. الهلال القاهرية اول يناير 1897، ص 342-343.

(7) يمكن ان نشير للكتب الآتية: كتاب الفلسفة للقس بوتيير، ترجمة جرجس صعب القس جاورجيوس بيروت 1883، وكتاب الاب جرجس فرح الصفير: الفلسفة، مطبعة جريدة بستان العرب، الاسكندرية، 1893؛ وكتاب الاديب انيس افندي الخوري: الفلسفة الحديثة، مطبعة جرجس غرزوري، الاسكندرية، 1914؛ زكريا احمد رشدي: مبادىء الفلسفة، طبعة احمد خليل بالاسكندرية وغيرها.

(8) انظر د. احمد عبدالحليم ـ ديكارت في الفكر العربي، المنار، العدد 47.

(9) انظر ماسينيون: تاريخ المصطلحات الفلسفية في الجامعة المصرية.

(10) الكونت دي جلارزا مستشرق اسباني عاش في مصر في العقود الاولى من هذا القرن وعمل محامياً بالمحاكم المختلطة ودرس بالجامعة الاهلية سنوات 1914-1920. مادتي الفلسفة العامة وتاريخها، والفلسفة العربية والاخلاق.

(11) د. زكي مبارك: الاخلاق عند الغزالي، مطبوعات دار الشعب، ط 2، القاهرة، 1971.

(12) مي زيادة: البعث العتيد، المقتطف، ص 129 وما بعدها، المجلد 55، سنة 1918، وأيضاً فاروق سعد: باقات من حدائق مي، ص 409 وما بعدها؛ وانظر دراستنا عنها «قراءة في كتابات مي زيادة الفلسفية»، مجلة أدب ونقد، القاهرة، العددين 17-18.

(13) انظر عنه د. محمد غلاب: الدكتور علي العناني تقدمه الى القراء، مجلة النهضة الفكرية القاهرية، العدد 27، وعلي مبارك، المرجع السابق، ومحمد عبدالجواد تقويم دار العلوم، ص 221-222.

(14) د. عثمان امين: الجوانية، دار القلم القاهرة، 1964، ص 63,62.

(15) المرجع نفسه، ص 98.

(16) د. ابو الوفا التفتازاني: محمد مصطفى حلمي والتصوف الإسلامي مجلة الفكر المعاصر القاهرية.

(17) د. محمد مصطفى حلمي: مقدمة ترجمة محمود الخضيري لكتاب ديكارت، المقال في المنهج ط 2، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967.

(18) د. محمد مصطفى حلمي: «طه حسين مفكراً» الفكر المعاصر القاهرية فبراير 1966 ص 90 وما بعدها.

(19) الفندي: حجة الاسلام الغزالي، شيء من فلسفته، ص 5-17 صحيفة جامعة القاهرة العدد 2، ديسمبر 1929.

(20) انظر د. احمد عبدالحليم عطية، ديكارت والفكر العربي المعاصر، اثر «المقال في المنهج» على الثقافة العربية. مجلة القاهرة، العدد 78، ديسمبر 1987، ص 35 وما بعدها.

(21) محمود الخضيري: مقدمة ترجمة المقال في المنهج، ط 4، مطبعة سميركو. القاهرة. انظر ايضاً تصدير د. زينب الخضيري لهذه الطبعة.

(22) د. ابراهيم بيومي مدكور. تصدير الكتاب التذكاري «دراسات فلسفية» مهداة إلى عثمان امين، دار الثقافة بالقاهرة، التصدير.

(23) د. عبدالغفار مكاوي: عثمان امين بيت ضيافة لديكارت.

(24) د. ابراهيم مدكور، المصدر السابق.

(25) د. احمد عبدالحليم عطية، من ديكارت الى محمد عبده، الاهرام، 1987/6/19، ص 12.

(26) د. عثمان امين: رواد الوعي الإنساني في الشرق، المكتبة الثقافية، القاهرة.

(27) د. عثمان امين: رائد الفكر المصري محمد عبده، الانجلو المصرية القاهرة ط 2.

(28) د. عثمان امين: الجوانية، ص 47.

(29) د. عثمان امين: الجوانية، ص 48.

(30) المصدر نفسه، ص 48.

(31) المصدر نفسه، ص 51-52.

(32) اصدر عثمان امين جزءاً من ترجمة هذا العمل الهام، الا أنه توقف بعد نشر ترجمة د. نازلي اسماعيل لهذا الكتاب.

(33) د. عثمان امين: الرواقية.

(34) د. عثمان امين: شيلر دار المعارف بالقاهرة ص 8.

(35) د. عثمان امين: محاولات فلسفية، المقدمة.
(36) د. عثمان امين المصدر السابق.
(37) د. عثمان امين
(38) المصدر السابق ص
(39) د. عثمان امين: محاولات فلسفية،
(40) د. عثمان امين: شخصيات ومذاهب فلسفية، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة 1971.
(41) د. عثمان امين: رواد المثالية الغربية، ط 2، دار الثقافة للنشر القاهرة ط 2 1975.
(42) د. عثمان امين: مقدمة ترجمته كتاب اميل بوترو: فلسفة كانط. الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1971، ص 4.
(43) المصدر السابق نفسه، ص 5.
(44) د. ابراهيم مدكور: المصدر السابق.
(45) د. عثمان امين، أثر ديكارت في مصر.
(46) د. عثمان امين: الجوانية، ص 134.
(47) د. عثمان امين: الجوانية، ص 99,96.
(48) د. عثمان امين: ديكارت ط 7.
(49) د. عثمان امين: الجوانية، ص 100.
(50) د. عثمان امين: الجوانية ص 149. فلسفة اللغة العربية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1969.
(51) د. عثمان امين: الجوانية ص 153.
(52) د. عثمان امين: المصدر السابق، ص 156-157.
(53) د. عثمان امين: لمحات من الفكر الفرنسي.
(54) د. عثمان امين: ديكارت، ط 7، تصدير الطبعة الاولى ص 9.
(55) المصدر نفسه، ص 11.
(56) د. عثمان امين: ديكارت مقدمة الطبعة الثالثة. ص 15.
(57) دع عثمان امين ديكارت مقدمة الطبعة الرابعة. ص 17-18.
(58) الموضع السابق، ص 18.
(59) المصدر السابق، ص 18.
(60) د. عثمان امين: لمحات من الفكر الفرنسي.
(61) المصدر نفسه.
(62) المصدر نفسه.
(63) د. عثمان امين: مقدمة ترجمته لنصوص هيدغر «الفلسفة والشعر» الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط 1، التصدير.
(64) د. عثمان امين: ديكارت، مقدمة الطبعة الرابعة، ص 19.
(65) د. عثمان امين: ديكارت، مقدمة الطبعة السادسة.
(66) د. عثمان امين: ديكارت، مقدمة الطبعة السابعة.
(67) د. عثمان امين: الجوانية، ص 105.
(68) المصدر السابق، ص 103.
(69) د. عثمان امين: التأملات الديكارتية، مجلة تراث الانسانية، القاهرة، المجلد الاول.
(70) د. عثمان امين: رائد الفكر المصري، الفصل الرابع، الباب الثاني.

(71) المصدر السابق.
(72) د. عثمان أمين: رواد المثالية الغربية، الباب الاول.
(73) د. عثمان امين: مذاهب وشخصيات فلسفية.
(74) د. عثمان امين: محاولات فلسفية.
(75) د. عثمان امين: الرواقية، الفصل الرابع، الباب الرابع.
(76) د. عثمان امين: مقدمة ترجمة التأملات.
(77) د. عثمان امين: مقدمة ترجمة مبادىء الفلسفة.
(78) المصدر السابق.
(79) المصدر نفسه.
(80) د. عثمان امين: في اللغة والفكر، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1966.
(81) ديكارت: المقال في المنهج ترجمة محمود الخضيري، ط 4.

مجلة الفكر العربي

مجموعات كاملة ١٩٧٨ ١٩٨٨

لدى الإدارة عدد قليل جداً من المجموعات الكاملة من مجلة "الفكر العربي". ثمن المجموعة الكاملة مجلدة تجليداً فنياً، بما فيه أجور البريد، ٥٠٠ $ دولار أميركي

بادر إلى حجز نسختك قبل النفاد. بيروت، ص. ب ١٤٥٢٠٠